حكايات من التاريخ

هل تناظرنى ؟

وحكاية أخرى

كتبها
محمد رجب

رسوم
محمد نبيل

سقيم

جميع الحقوق محفوظة لشركة سفير

رقم الإيداع: ٢٢٨٧٧ / ٢٠٠٥

الترقيم الدولي: I.S.B.N. 977 - 361 - 396 - x

يوسف أيها الحكيم

«مَرَّاكُشُ». بِلادُ المَغْرِبِ. عَامُ (٤٧٩) الهِجْرِى..

قَصْرُ أَمِيرِ المُرَابِطِينَ «يُوسُفَ بنِ تَاشُفِينَ».

قَاعَةُ الحَاكِمِ. ثَلاثَةٌ يَتَسَامَرُونَ. كُرْسِىُّ العَرْشِ خَالٍ.

«يُوسُفُ» جَاوَزَ السَّبْعِينَ. خَلْفَ سِتَارٍ، جَالِسٌ يُنْصِتُ.

«كَنْعَانُ». «شَهْدَانُ». «نُعْمَانُ».

يَعْلُو البِشْرُ الوُجُوهَ. بَدُوا بِأَفْضَلِ صُورَةٍ. جَوْهَرَةٌ تَلْمَعُ فِى كُلِّ عِمَامَةٍ. الوَقْتُ لَيْلٌ..

سَأَلَ «نُعْمَانُ»:

– مَاطَلَبُكَ مِنَ الأَمِيرِ، يَاصَاحِبَىَّ؟

أَجَابَهُ «كَنْعَانُ»:

– أَعُودُ إِلَى «طُلَيْطِلَةَ».

وَأَنْتَ يَاشَهْدَانُ؟

– أَبْقَى لأَرُدَّ جَمِيلَ الأَمِيرِ، وَأَنْتَ؟

- سُلْفَةٌ أُتَاجِرُ بِهَا..

• • •

سَكَتُوا. نَفِدَ الكَلامُ. طَالَ السُّكُوتُ. بَرَزَ «يُوسُفُ» أَمَامَهُم. بَوُغِتُوا.

- السَّلامُ عَلَيكُم وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ..

نَهَضُوا. رَدُّوا التَّحِيَّةَ. اعْتَلَى كُرْسِيَّ العَرْشِ. عَلَى شَفَتَى الأَمِيرِ ابتِسَامَةٌ.

أَسْمَرُ. طَوِيلٌ. نَحِيلٌ. عَينَا صَقْرٍ بِرَغْمِ سِنِّهِ الكَبِيرَةِ.

- لاَ عَلَيكُم. اجْلِسُوا..

سَرَّى عَنْهُم. لَمْ يُصَدِّقُوا أَنَّهُم يُحَادِثُونَ الرَّجُلَ الَّذِي كَبَّدَ الصَّلِيبِيِّينَ أَكْبَرَ الخَسَائِرِ فِي الزَّلاَّقَةِ. مَعْرَكَةُ الزَّلاَّقَةِ.

مُنْذُ شَهْرٍ كَانَتْ نَصْرًا مُبِينًا قُرْبَ الأَنْدَلُسِ.

• • •

صَفَّقَ «يُوسُفُ». ظَهَرَ بَدِينٌ، أَحْمَرُ الوَجْهِ..

- أَمْرُ مَولاَى..

- هَاتِ أَلْفَ دِينَارٍ..

انْسَحَبَ البَدِينُ. بَرِقَتْ عَينَا «نُعْمَانَ».

- أَهِيَ كَافِيَةٌ يَانُعْمَانُ..؟

– أَجَلْ. أَدَامَ اللَّهُ عِزَّ الأَمِيرِ..

– وَأَنْتَ يَاشَهْدَانُ. وَلَّيْنَاكَ عَلَى «فَاسَ». بِالمَدِينَةِ جَمَاعَةٌ ظَالِمَةٌ، أَتَقْدِرُ عَلَى رَدِّهَا لِلصَّوَابِ..؟

– أَفْعَلُ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

البَدِينُ أَقْبَلَ بِصُرَّةٍ..

تَلَقَّفَ «نُعْمَانُ» الصُّرَّةَ. مَالَ لِيَنْصَرِفَ. اسْتَوْقَفَهُ الأَمِيرُ:

– لَيسَ بَعْدُ.

بِإِشَارَةٍ مِنَ الأَمِيرِ انْسَحَبَ البَدِينُ.

– وَتُرِيدُ «طُلَيْطِلَةَ»، يَاكَنْعَانُ؟

– أَجَلْ..

– فَلْتَذْهَبْ إِلَيْهَا بِالعَتَادِ وَالجُنْدِ وَالأَمْوَالِ، لَكِنْ..

تَطَلَّعَ إِلَيهِ «كَنْعَانُ» فِي خَوْفٍ:

– لاَ، لاَتَتَزَعجْ. دَعْنِي أَسْأَلُكَ:

أَأَنْتَ وَاثِقٌ مِنَ الأَمْرِ؟

تَلَجْلَجَ الرَّجُلُ. قَالَ:

– أَجَل.

– هَلْ زَوْجَتُكَ سَتُحْسِنُ التَّرْحِيبَ بِكَ؟ كَمْ لَكَ فِي الأَسْرِ؟

– عَامَانِ..!

– أَخْشَى أَنَّ الأُمُورَ تَتَغَيَّرُ كَثِيرًا، لِذَا..

تَطَلَّعَ الثَّلاثَةُ إِلَى شَفَتَيْهِ ظَامِئِينَ:

– عَلَيكُمْ أَنْ تَعُودُوا هُنَا بَعْدَ..

تَوَقَّفَ لِيُفَكِّرَ. سَأَلَهُم:

– لِنَقُلْ بَعْدَ نِصْفِ العَامِ؟

وَافَقُوا..

أَطْلَقَ «يُوسُفُ» ضَحْكَةً. قَالَ:

– لاَتَنْسَوا أَنَّ اللَّهَ حَرَّرَكُم مِنَ الأَسْرِ..!

قَالَ «شَهْدَانُ»:

– لاَأَنْسَى يَاأَمِيرُ أَنَّكَ بِنَصْرِ اللَّهِ حَرَّرْتَنَا. اسْتَوْلَى الصَّلِيبِيُّونَ عَلَى مَدِينَتِي وَأَسَرُونِي..

قَالَ«كَنْعَانُ»:

– وَكُنْتُ أَنَا حَاكِمًا لِمَدِينَةٍ قُرْبَ «طُلَيْطِلَةَ» احْتَلَّهَا الصَّلِيبِيُّونَ. زَوْجَتِي سَالَمَتْهُمْ، وَحَارَبْتُهُمْ وَطَائِفَةٌ مَعِي، قَتَلُوهُم، وَحَبَسُونِي.

قَالَ«نُعْمَانُ»:

– وَأَنَا مِنْ «قَشْتَالَةَ» بِالأَنْدَلُسِ. نَهَبُوا تِجَارَتِي وَاتَّخَذُونِي عَبْدًا..

أَشَارَ«يُوسُفُ» إِلَيهم:

– فِي رِعَايَةِ اللَّهِ اذْهَبُوا. لاَتَنْسَوا لِقَاءَنَا...!

فَانْطَلَقُوا يَتَسَابَقُونَ..!

• • •

دَارَ الزَّمَنُ دَوْرَتَهُ..

جَلَسَ «يُوسُفُ» يُفَكِّرُ. دَوْلَتُهُ ؛ دَوْلَةُ المُرَابِطِينَ فِى رِبَاطٍ مَعَ جُنْدِ اللَّهِ. تَنْصُرُ جُنْدَ اللَّهِ. مَااسْتَجَارَ بِهِم مَظْلُومٌ إلا سَبَقُوا الرِّيحَ إلَيهِ..!

دَخَلَ البَدِينُ:

- مَولاَى. ثَلاثَةٌ يَطْلُبُونَ الإذْنَ..

- أَدْخِلْهُم..!

• • •

- مَافَعَلَ اللَّهُ بِكَ، يَانُعْمَانُ؟

يَرْتَدِى الثِّيَابَ الفَاخِرَةَ. تَبْدُو عَلَيهِ النِّعْمَةُ.

- الحَمْدُ لِلَّهِ. أَتَمَّ سُبْحَانَهُ نِعْمَتَهُ عَلَىَّ. تَاجَرْتُ بِأَمَانَةٍ.

- وَلِلَّهِ الحَمْدُ. الأَلْفُ دِينَارٍ كَانَتْ لَكَ هَدِيَّةً.

وَتَحَوَّلَ إلَى الثَّانِى.

- وَأَنْتَ، يَاشَهْدَانُ؟

ابْتَسَمَ الرَّجُلُ. مِنْ «لمتُونَةَ» المَغْرِبِيَّةِ هُوَ. فَارِسٌ لاَيُشَقُّ لَهُ غُبَارٌ . إخْلاصٌ مُجَسَّدٌ هُوَ..

-أَعَانَنِى المَوْلَى عَزَّ وَجلَّ. تَابَ الثُّوَّارُ. هُمْ بِالخَارِجِ يَنْتَظِرُونَ لِيَمْثُلُوا فِى حَضْرَةِ مَوْلاَى

الأمير.

– الحَمْدُ لِلَّه. وَأَنْتَ يا كَنْعَانُ..؟

ثِيَابُهُ رَثَّةٌ. لِحْيَتُهُ طَالَتْ صَدْرَهُ. بِاسْتِكَانَةٍ يَنْظُرُ إِلَى «يُوسُفَ».

– آه، يَا مَوْلاَى..!

رَاحَ يَبْكِى بِحُرْقَةٍ. انْتَهَرَهُ الأَمِيرُ:

– الدُّمُوعُ خَلِيقَةٌ بِالنِّسَاءِ. مَاذَا جَرَى؟

رَفَعَ وَجْهًا دَامِعًا. قَالَ:

– اسْتَوْلَتْ زَوْجَتِى عَلَى المُلْكِ،

الصَّلِيبِيُّونَ يَحْتَلُّونَ مَدِينَتِى

طَرَدَتْنِى زَوْجَتِى شَرَّ

طِرْدَةٍ..!

ذَبَلَتِ الابْتِسَامَةُ فِى

وَجْهِ الأَمِيرِ.. قَالَ:

– لَولاَ أَنْ نَصَرَنِى اللَّهُ

فِى الزَّلاَّقَةِ مَا كُنْتُم

أَحْرَارًا.

وَتَوَقَّفَ يَهْرُشُ

لِحْيَتَهُ. تَابَعَ:

– كَمْ تَنْوُونَ المَقَامَ عِنْدِى؟

قَالَ«شَهْدَانُ»:

– أَسْتَأذِنُ الأميرَ فِى الرُّجُوعِ؛ فَالفَاسِيُّونَ تَعِبُوا مِنَ الطَّرِيقِ وَ...

ضَحِكَ «يُوسُفُ». قَالَ: وَتُرِيدُ لَهُم رَاحَةً وَطَعَامًا..؟

صَفَّقَ الأَمِيرُ بِيَدِهِ. انْشَقَّتِ الأَرْضُ عَنِ البَدِينِ:

– أَمْرُ مَوْلَاى..؟

– بِالخَارِجِ قَومٌ جَاءُوا بِصُحْبَةِ الوَالِى «شَهْدَانَ»

خُذْهُم إِلَى دَارِ الضِّيَافَةِ وَاسْتَوصِ بِهِم..

– أَمْرُ مَوْلَاى..

فَلْتَقْعُدْ مَعَنَا أُسْبُوعًا يَاشَهْدَانُ.

– أَمْرُ مَولَاى، وَشَكَرَ اللَّهُ لَكَ.

– وَأَنْتَ يَانُعْمَانُ ، لَكَ أَنْ تَمْكُثَ هُنَا مَا شِئْتَ.

أَلكَ حَاجَةٌ..؟

– لاَ، شَكَرَ لَكَ اللَّهُ عزَّ وَجلَّ مَعْرُوفَكَ..

– أَمَّا أَنْتَ يَاكَنْعَانُ فَمِنَ الغَدِ أَصْحَبُكَ فِى جَيْشٍ

جَرَّارٍ إِلَى مَدِينَتِكَ..

– مَعْقُولٌ يَامَولَاى؟ تَجِىءُ مَعِى بِنَفْسِكَ..؟

– أَلَسْنَا مُرَابِطِينَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ؟ عَلَينَا أَنْ نُحَرِّرَ

نور الحياة

عَامُ (١٢٦٣) الميلادىُّ. «مصرُ» المَحْرُوسَةُ..
خَارِجَ قَصْرِ السُّلْطَانِ. أَصْوَاتٌ تَتَعَالَى فِى حُبُورٍ وسُرُورٍ:
- اللّهُ أَكْبَرُ.
- أَسْلَمَ بَرَكَةُ خَانَ..
- مَغْقُولٌ..؟ المَغُولُ يُسْلِمُون؟!
فَرَسٌ تَطِيرُ. تَتَوَقَّفُ عِنْدَ القَصْرِ. يَتَرَجَّلُ فَارِسٌ. يَنْدَفِعُ إِلَى القَصْرِ صَائِحًا:
- مَوْلاَى السُّلْطَانَ..!
مَوْلاَى السُّلْطَانَ..!

● ● ●

«بِيبَرْسُ» فِى قَاعَةِ العَرْشِ يَتَرَقَّبُ:
- إِنَّهُ لَخَيْرٌ كَثِيرٌ. كَبِيرُ المغُولِ أَسْلَمَ. مَغُولُ القَفْجَاقِ قَوْمٌ بَوَاسِلُ. لاَبُدَّ أَنَّ هُولاَكُو، ابنَ عَمِّهِ، فِى كَرْبٍ عَظِيمٍ..
ضَحِكَ «بِيبَرْسُ». حِينَ دَخَلَ عَلَيْهِ الرَّسُولُ زَمَّ شَفَتَيْهِ.. بَانَ عَلَيهِ الجِدُّ..!

– مَا وَرَاءَكَ..؟

انْدَفَعَ إِلَيْهِ الشَّابُّ برسَالَةٍ: نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ يَامَوْلاَى..!

– وَلَكَ البُشْرَى. هَات..!

فَتَحَ اللِّفَافَةَ. بَسَطَهَا أَمَامَ نَاظِرَيْهِ. تَهَلَّلَ وَجْهُهُ. انْفَرَجَتْ أَسَارِيرُهُ.. وَقَفَ الرَّسُولُ أَمَامَهُ كَالرُّمْحِ المَشْدُود.

رَاحَ «بِيبَرْس» يُطَالِعُ سُطُورَ الرِّسَالَة:

– «فَلْيَعْلَمِ السُّلْطَانُ الظَّاهِرُ أَنَّنِى حَارَبْتُ هُولاَكُو وَهُو مِن لَحْمِى وَدَمِى لإِعْلاءِ كَلِمَةِ اللَّه..!»

– رَائِعٌ..!

سَرَى البِشْرُ فِى جَوَانِبِ القَصْرِ.

بُورِكْتَ يَابَرَكَةَ خَانَ..!

كَفَيْتَنَا شَرَّ هُولاَكُو. لَمْ تُثْنِ الهَزِيمَةُ هُولاَكُو فِى عَيْنِ جَالُوتَ.

عَادَ يُهَدِّدُ حُدُودَ الشَّامِ.

الصَّلِيبِيُّونَ يُنَاوِشُونَ مِنْ فِلَسْطِينَ.

كَانَ

الإسْلامُ يُحَارِبُ جَبْهَتَيْنِ: حَمْدًا للَّهِ. كَفَانَا «بَرَكَةُ خَانَ».
يَتَصَدَّى لِمَغُولِ «فَارِسَ» وَ«هُولاَكُو» بِعَيْنٍ لاَتَنَامُ..!

● ● ●

لَمْ يُطَاوِعِ السُّلْطَانَ النَّوْمُ لَيْلَتَهَا..!
صُوَرُ المَاضِي تَدَافَعَتْ. صُوَرٌ مُفْزِعَةٌ..!
«شَجَرَةُ الدُّرِّ» تَكْتُمُ وَفَاةَ السُّلْطَانِ الصَّالِحِ «أَيُّوبَ». يَصِلُ «لِويسُ» القِدِّيسُ «لِويسُ التَّاسِعُ» مَلِكُ فَرَنْسَا بِجَحَافِلِ الصَّلِيبِيِّينَ إِلَى المَنْصُورَةِ.
يَهُبُّ الإِسْلاَمُ قَوِيًّا ثَائِرًا يَهْزِمُ الفَرَنْسِيِّينَ.
«لويسُ» مَسْجُونٌ فِي دَارِ «ابنِ لُقمَانَ». تَدْفَعُ زَوْجَةُ «لِويسَ» الدِّيَةَ.
يَرْتَدُّ «لويسُ» إِلَى بِلاَدِهِ مَكْسُورًا..!
«هُولاَكُو» تُخْبِرُهُ جَوَاسِيسُهُ بِوَفَاةِ السُّلْطَانَةِ «شَجَرَةِ الدُّرِّ».
يُقْبِلُ بِجُيُوشِهِ الجَرَّارَةِ. تَتَوَحَّدُ الصُّفُوفُ. المِصْرِيُّونَ لاَيُهْزَمُونَ.
الإِسْلاَمُ فِي القُلُوبِ لاَيَمُوتُ! يَنْكَسِرُ «هُولاَكُو». يَرْجِعُ إِلَى فَارِسَ ذَلِيلاً..!
السُّلْطَةُ تَصِيرُ إِلَى «بِيبَرْسَ». اسْمُهُ السُّلْطَانُ «الظَّاهِرُ».
أَحَبَّ الظَّاهِرُ شَعْبَ «مِصْرَ». شَعْبٌ جَسُورٌ لاَيُقْهَرُ..
أَلَمْ يَصِفِ الرَّسُولُ ﷺ جُنْدَ مِصْرَ؟
أَلَيسُوا «خَيْرَ أَجْنَادِ الأَرْضِ»؟!

● ● ●

– حَسَنٌ. مَاذَا بَعْدُ؟
يُنْصِتُ «الظَّاهِرُ» إِلَى نَائِبِهِ وَصَدِيقِهِ «خَيرِ الدِّينِ» كَانَ مَبْعُوثَهُ إِلَى بَرَكَةَ خَانَ..
– لَنْ تُصَدِّقَنِي يَا مَوْلاَيَ..
– لِمَ..؟

- بِلادُ القَفْجَاقِ بِلادٌ غَرِيبَةٌ..

- كَيفَ..؟

- لِكُلِّ أَمِيرٍ وَأَمِيرةٍ إِمَامٌ وَمُؤَذِّنٌ..

- رَائِعٌ..

- وَالأَطْفَالُ يَحْفَظُونَ كِتَابَ اللَّهِ فِي المَدَارِسِ وَالمَسَاجِدِ.

- الحَمْدُ للَّهِ الَّذِي هَدَاهُم إِلَى الحَقِّ

تَوَقَّفَ «خَيرُ الدِّينِ»

اسْتَحَثَّهُ «بِيبَرْسُ».

- لِمَاذَا لاَتُكْمِلِ الحِكَايَةَ..؟

- أُرِيدُ أَنْ أَقْتَرِحَ أَمْرًا..

- إِلَيَّ بِهِ..!

- الحَقِيقَةُ أَنَّ لِبَرَكَةَ خَانَ بَنَاتٍ كَثِيرَاتٍ..

وَخَطَبْتُ لِنَفْسِي وَاحِدَةً، «نُورَ العَينِ».

- مُبَارَكٌ لَكَ. وَمَاذَا أَيضًا؟

- لَكِنْ هُنَاكَ أُخْرَى كَفَلْقَةِ البَدْرِ...

- وَمَاشَأْنِي بِهَا..؟

- وَتَحْفَظُ كِتَابَ اللَّهِ. جَمِيلَةٌ. مُسْلِمَةٌ. يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِأَخْلاَقِهَا، و..

قَاطَعَتْهُ «بِيبَرْسُ» صَائِحًا:

- مَا اسْمُهَا..؟

«نُورُ الحَيَاةِ»..!

• • •

وَصَلَتْ رُسُلُ «الظَّاهِرِ» إِلَى بِلادِ القَفْجَاقِ..

بِلادٌ وَاسِعَةٌ بَينَ بَحْرِ قَزْوِينَ وَنَهْرِ الفُولجَا..
هُنَا تَعِيشُ القَبِيلَةُ الذَّهَبِيَّةُ الَّتِى أَسْلَمَتْ وَحَسُنَ إِسْلامُهَا.
كَسَا اللَّيلُ الكَوْنَ بِردَائِهِ الرَّمَادِىِّ.
لَمْ يُصَدِّقْ «بَرَكَةُ خَانَ» الخَبَرَ. أَرْسَلَ وَزِيرَهُ يَسْتَقْبِلُ الضُّيُوفَ مِنْ «مِصْرَ».

● ● ●

تَأَمَّلَ «بَرَكَةُ خَانَ» ضَيْفَهُ «خَيرَ الدِّينِ» فِى دَهْشَةٍ:
- لَعَلَّكَ أَحْبَبْتَ بِلادَنَا. أَلَمْ تَزُرْنَا مُنْذُ أَيَّامٍ.
ضَحِكَ «خَيرُ الدِّينِ»:
- أَنَا هُنَا فِى مُهِمَّةٍ بَعْدَهَا أَصْحَبُ الأَمِيرَةَ «نُورَ العَينِ» إِلَى مِصْرَ وَ...
قَاطَعَهُ «الخَانُ» ضَاحِكًا:
- أَنْتُم ضُيُوفُنا إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ..!
تَأَمَّلَهُ «خَيْرُ الدِّينِ». تَكْسُو مَلامِحَ «الخَانِ» الطُّمَأْنِينَةُ. مِنْ وَجْهِهِ يَشِعُّ النُّورُ. جَاوَزَ الخَمْسِينَ وَلَمْ تَزَلْ بِهِ حَيَوِيَّةُ الشَّبَابِ.
تَابَعَ «الخَانُ» يَقُولُ.
- صَادَفَ السُّلْطَانُ هُنَا حُبًّا؛ فَهَدَايَاهُ عَظِيمَةٌ وَرِسَالَتُهُ مَقْبُولَةٌ.
وَمَا قَوْلُ «الخَانِ» فِيمَا طَلَبَهُ مَولاَى؟
أَلَمْ أَقُلْ إِنَّ رِسَالَتَهُ مَقْبُولَةٌ؟ اسْتَرِحْ مِنَ السَّفَرِ أَوَّلاً.
وَنَادَى خَاصَّتَهُ. أَوْصَاهُم بِالضُّيُوفِ خَيرًا..

● ● ●

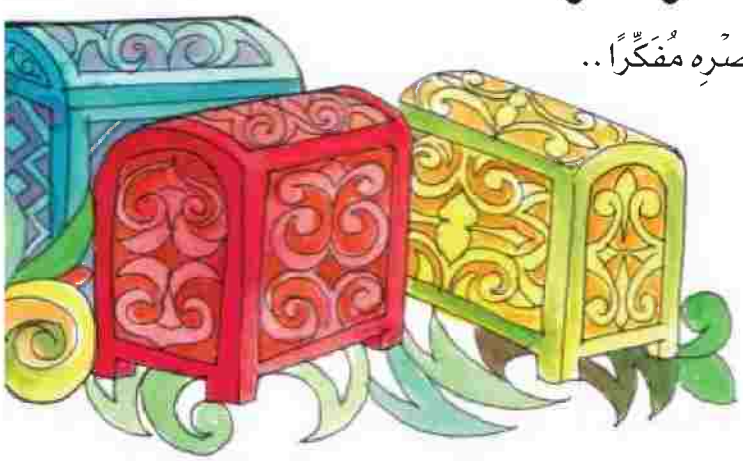

«بِيبَرْس» يَتَمَشَّى فِى حَدِيقَةِ قَصْرِهِ مُفَكِّرًا..
طَالَتْ غَيْبَةُ «خَيْرِ الدِّينِ»..
مَا الخَبَرُ يَاتُرَى..؟

أَكَلَ القَلَقُ قَلْبَ «بيبَرْسَ»..

اللَّيلُ يَلْفظُ آخرَ أَنْفَاسِه. الفَجْرُ عَلَى الأَبْوَابِ..

سَمِعَ صَوْتًا يَهْتِفُ بِقُوَّةٍ:

– مَنْ هُنَاكَ..؟

تَوَقَّفَ السُّلْطَانُ. أَسْمَعَ الحَارِسَ كَلِمَةَ سِرِّ اللَّيلِ. انْكَشَحَ الحَارِسُ مُبْتَعِدًا فِى احْتِرَامٍ شَدِيد..

صَعِدَ السُّلْطَانُ الدَّرَجَ. وَصَلَ إِلَى سُورِ القَصْرِ. رَاحَ يُرَدِّدُ النَّظَرَ إِلَى بَعِيدٍ..

– هَلْ وَافَقَ «الخَانُ» أَنْ يُزَوِّجَهُ «نُورَ الحَيَاةِ»..!

سَهْمٌ يَنْدَفِعُ فِى جَوفِ السَّمَاءِ..

آه. حَمَامَةٌ تَنْطَلِقُ بِسُرْعَةِ البَرْقِ

الرَّاعد. حَمَامَةٌ زَاجِلٍ يا إِلَهِى..!

تَحُطُّ الحَمَامَةُ فِى يَدِهِ يُرَبِّتُ

«الظَّاهِرُ» عَلَى رَأْسِهَا فِى

حَنَانٍ.. الحَمَامَةُ هِىَ

التِى اعْتَادَ

«خَيْرُ الدِّينِ»

أَنْ تَكُونَ

مَعَهُ.

فَكَّ «بيبَرْسُ» اللِّفَافَةَ مِنْ رِجْلِ الحَمَامَةِ..

عَادَ سَرِيعًا إِلَى قَاعَةِ العَرْشِ وَالحَمَامَةُ فِى قَبْضَتِهِ.

اسْتَدْعَى حَارِسَهُ. سَلَّمَهُ الحَمَامَةَ وَأَوْصَاهُ بِهَا..

فَرَدَ الرِّسَالَةَ وَقَرَأَ وَالسُّرُورُ يَكَادُ يَعْصِفُ بِهِ:

مَوْلَاىَ الظَّاهِرَ.. أَصِلُ فِى رَكْبِ «الخَانِ» بَعَرُوسِكَ «نُورِ الحَيَاةِ».

يَتِمُّ زِفَافُكُمَا إِن شَاءَ اللَّهُ عَقِبَ وُصُولِنَا. مُبَارَكٌ لِلسُّلْطَانِ..

وَلَمْ يُكْمِلْ «بيبَرْس» القِرَاءَةَ...

رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَهَتَفَ:

-الحَمْدُ لِلَّهِ..!